غمسةٌ تُنسي آلام العمر



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وبعد:

فنحن في هذه الحياة الدنيا نعيش بين ابتلاءات وامتحانات، هي سنة الحياة وطبيعة الدنيا.

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: 2].

أو بين متعة مؤقتة مكَدَّرة منقوصة، كطبيعة أي متعة في هذه الدنيا.

ونحن في هذه الدنيا نعيش في غفلات وملهيات تجعل مساحة تذكُّر الآخرة والسعي لها محدودة، لطبيعة الحياة ومتغيراتها وماديتها القاسية، ولكثرة الصوارف وقلة المنبهات، ولضعف إيماننا وقلة يقيننا.

فنَجْزَع ونقنط عند الابتلاء ويقل صبرنا عليه، ويطغى علينا اللهث والركض وراء المتعة الدنيوية المؤقتة المكَدَّرة، فتفسد دنيانا علينا آخرتنا.

والتحدي الأكبر في الجيل الجديد من شبابنا، الذي انغمس انغماسًا في هذه المادية، وضعُف أو قلَّ تذكُّره للآخرة وشوقه للجنة وخوفه من النار، وصار تنافسه ومقياسه بقدر ما يحقق من كسب دنيوي ومتاع زائل؛ كلما حقق كسبًا دنيويًا انتقل إلى الذي بعده، وهو ما يطلق عليه علماء علم النفس «طاحونة اللذة».

وهذا معناه أن في القلب شوقًا أكبر لشيء أكبر من الدنيا كلها، وهو المعنى الذي قاله المفكر والأديب البريطاني المسيحي **Clive Staples Lewis**، وكان أستاذًا للأدب الإنجليزي في جامعتي أكسفورد وكامبريدج، حيث قال: «إذا وجد الإنسان في نفسه رغبة لا يُشبعها شيء في هذا العالم، فأقرب تفسير لذلك أنه خُلق لعالم آخر».

وهذا الذي وصل إليه العقل بعد تأمل طويل جاء به القرآن في كلمة واحدة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:**115**]

وخير ما يكسر حدة المادية ويعيد التوازن بين الدنيا والآخرة في حياتنا، ويصبّرنا على ابتلاءات الدنيا وامتحاناتها، ويصبرنا على الطاعة، ويقوينا على مجاهدة أنفسنا أمام المعاصي، هو الشوق إلى الجنة والسعي بالعمل الصالح في الدنيا لبلوغها. فغمسةٌ في الجنة تُنسي آلام العمر، وهذه بعض المشوقات للجنة،



متعنا الله وإياكم بدخولها بسلام آمنين:

1- غمسةٌ في الجنة تُنسيك آلام الدنيا

إن الدنيا دار مشقة ومكابدة وتعب. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: 4].

كَبَدٌ وتعبٌ من المرض والهم والمسؤوليات والفكر، وأسعد الناس لا يخلو من هم، وأغنى الناس لا يخلو من قلق، وأقوى الناس تأتيه لحظات ضعف ووهن. ولا ينتهي هذا التعب والكبد إلا بوضع أول قدم في الجنة.

ولهذا كان دعاء أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: 34].

لماذا؟ جواب أهل الجنة: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: **35**].

وإنما بلغ أهل الجنة هذه الرتبة والمنزلة لأنهم صبروا على تعب ومكابدة الدنيا، سواء في الصبر على الابتلاء، أو الصبر عن المعصية، أو الصبر على الطاعة. ولهذا فإن الملائكة تبشر أهل الجنة وتربط بين دخولهم الجنة وبين صبرهم في الدنيا. قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: **24**].

ومن الأحاديث العجيبة الشارحة لهذا المعنى ببيان مبين، حديث أنس رضي الله

عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في جهنم صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويُؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ في الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط». رواه مسلم.

وتأمل معي هذه المقابلة بين حيازة الدنيا وما عليها، وبين بلوغ أدنى شيء في الجنة.

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «موضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها». رواه البخاري.

2- شوقٌ لأعظم نعيم في الجنة

كل ما في الجنة من نعيم مقيم، وخلود دائم، وقصور وأنهار وأشجار وثمار وحور عين، كل هذا على جماله وشوقنا له يتضاءل ويتصاغر أمام النعيم الأعظم والأجمل في الجنة، وهو تفضل المولى الجليل على عباده المؤمنين بالنظر إلى وجهه الكريم.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22-23].

وأعظم عقوبة للكافرين في الآخرة ليس العذاب في النار، وإنما الحرمان من

هذه الكرامة الكبرى للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: **15**].

قال الإمام الشافعي: «فلما حجب هؤلاء في السخط، دلَّ على أن أولياءه يرونه في الرضا». وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: 26]. فالحسنى الجنة، والزيادة رؤية المولى الجليل، تبارك وتعالى.

قال ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل». رواه مسلم عن صهيب بن سنان الرومي.

وقال ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾. متفق عليه من حديث جرير بن عبد الله.

وقد سُئل أحد العارفين: صِف لنا الجنة؟ فقال: «فيها رسول الله ﷺ». فأي نعيم بعد رؤية المولى الجليل في الجنة ومرافقة الحبيب ﷺ فيها؟!

٣- نعيم الجنة لا يتخيله بشر

كل الآيات والأحاديث التي صورت لنا نعيم الجنة ولذائذها هي للتقريب بما نعرفه في هذه الدنيا، ولكن نعيم الجنة في حقيقته أعظم من أن يتخيله بشر في هذه الدنيا، وكل نعيم في الجنة لا يشبه نعيم الدنيا إلا في الاسم والصورة فقط.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: **25**].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17]. وقال: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: **71**].

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». رواه البخاري عن أبي هريرة.

وقد شرف الله الجنة وأهلها بأن أضافها إلى ذاته العلية المقدسة. قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: **30-27**].

وساكن الجنة عند الله، وفي حبل جواره، وأنعم به من جوار. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: **55-54**].

ويتنعم أهل الجنة بصحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

وفي الجنة تتغير الأجساد والهيئات للرجال والنساء نحو الأكمل والأجمل والأشرف، وهو تغير يتناغم مع نعيم الجنة وترفها وحورها والحياة الخالدة المنعمة فيها. قال ﷺ: «كل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعًا». رواه البخاري.

وأهل الجنة يكونون في عمر القوة والفتوة، في سن عيسى بن مريم عليه السلام. قال ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا، مردًا، مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين». رواه أحمد والطبراني بسند صحيح من حديث أبي هريرة.

فهل ننشغل عن الإعداد لهذا النعيم بشاغل، أو ننصرف عنه بصارف، أو نحرم منه بذنب؟ أم نبذل لأجله أرواحنا، ونجاهد لبلوغه أنفسنا، تحصيلًا للطاعة ونفورًا من المعصية؟!

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل. اللهم متعنا في الجنة بالنظر إلى وجهك الكريم، وبرؤية سيد المرسلين، وكن لأهلنا وإخواننا في غزة سندًا ومعينًا ووليًا ونصيرًا، وفرّج الكرب عن أمة حبيبك محمد ﷺ، والحمد لله رب العالمين.